شعر من الصين

نظم

ماوتسي تونغ

نقله الى الفرنسية

الاستاذ هوجو

علق عليه

الاستاذ تشيو تشين فو

نقله الى العربية

وقدم له الدكتور

ممدوح حقي

دار اليقظة العربية

للتأليف والترجمة والنشر

مكتبة ماو تسي تونغ للعرب

https://sites.google.com/site/maoforarab

نسخه للإنترنت الصوت الشيوعي

https://sites.google.com/site/communistvoice

communistvoice@disroot.org

تنويه من الناسخ الالكتروني:

تم نسخ هذا الديوان بتصرف من خلال ما يلي:

1) تم حذف "تقديم" بقلم الدكتور ممدوح حقي، وذلك لاحتوائه على افكار لا ماركسية ومعادية للثورة ناشئة عن الانتماء البرجوازي للمترجم العربي كونه من القوميين العرب اليمينيين.

2) لم نقم بنسخ الصور التي تضمنتها النسخة العربية وذلك لسببين: (آ) عدم صلاحية اغلبها للنسخ بواسطة الماسح الضوئي، (ب) عدم امتلاكها اهمية تذكر.

واستثنينا من ذلك ثلاث صور: الاولى صورة لمخطوطة قصيدة "الثلج"، والثانية صورة لمخطوطة قصيدة "السباحة"، والثالثة صورة لمخطوطة قصيدة "الخالدان". وذلك لانهنَّ صالحات للتصوير بالماسح الضوئي، ولاهميتهنَّ حيث ان ثلاثتهنَّ بخط يد الرفيق ماو تسي تونغ شخصيا. وقد نسخنا كل من هذه الصور الثلاثة مرتين: مرة بالألوان ومرة بالأسود والأبيض.

3) بعض الهوامش، في النسخة الورقية، اشتملت على تعداد لنقاط استعملت الأرقام لتنقيطها. قمنا من جهتنا باستعمال الاحرف الابجدية للتنقيط، عوضا عن الأرقام، وذلك منعا للالتباس.

3) تضمنت النسخة الورقية في نهايتها "فهرس بالالفاظ الصينية الواردة في الديوان منطوقةً بالحروف اللاتينية". لم نقم بنسخ هذا الفهرس توفيرا للوقت بالنظر لعدم اهميته، فهو لا يقدم ولا يؤخر.

لذا اقتضى التنويه.

الصوت الشيوعي

شعر من الصين

نظم

ماوتسي تونغ

الطبعة الأولى – نيسان (ابريل) 1960

الطبعة الثانية – أيار (مايس) 1961

الطبعة العربية – كانون الثاني 1966

ملاحظة الناشر

تحوي هذه المجموعة إحدى وعشرين قصيدة، من شعر الرئيس "ماوتسي تونغ". أنشئت اثنتان منها – أخيرا – وأضيفتا على الطبعة الأولى. وقد صُنِّفَت تبعاً لتواريخ انشائها. أما الحواشي، فتلمُّ بالزمن الذي أنشئت فيه القصائد، والظروف التي أحاطت بها وبالشاعر معاً[1].

1 - جميع الحواشي من عمل الاستاذ هوجو.

تشانغ تشا[2]

وقفتُ في برد الخريف وحيداً، بقلب سيانكيانغ، المصعّد نحو
الشمال والناهد على رأس جزيرة أورانج[3]
وقفت أتشوف الى الحرجات المصطبغة بالحمرة، طبقةً وراء طبقه،
فوق آلافٍ من الجبال القرمزية
وأرى على صفحات المياه، شفيفةِ الخضرة، المنساحة نحو اللانهاية؛
مئة مركب تنزلق منسابة سابحة.
وألحظُ السمكَ؛ ينسرب في أعماق اللجّة ...
وافكّر بكلّ مخلوق؛ كيف ينساق – في الخريف – على سجيّته،
ويعطي نفسه هواها ...
لقد اختلبني هذا الجلال وأسرت لبي هذه العظمة، فوقفت أسائل
الأرض في انفساحها المبهم:
أي مليكٍ عظيم، هذا الذي يسيّر أقدار الطبيعة جميعاً؟!

*

*   *

هنا، أمضيت أياماً لذّةً، عشتها

---

2 - وزنت هذه القصيدة على بحر (تسي) تأثَّر في نظمها بقصيدة "سينّ يوان تشوين" أي "الربيع في حديقة سينّ". وهو اسم أميرة من عصر امبراطورية "هان" في المشرق (25 – 220) وتدعى "سينّ شوي".
ولا بدّ هنا من الاشارة، إلى أن الشعراء الصينيين؛ قد يستثيرون في شعرهم بعض الأحداث التاريخية، لضبط إيقاع الجمل، ووزن نغمتها، لا لأمر آخر. ولا يأبهون مطلقاً للمعاني البدائية التي تتضمّنها.

3 - جزيرة البرتقال "أورانج" واقعة في وسط "سيانكيانغ" شرقي، تشانغ تشا. وتسمى أحياناً "شويلوتشيو".

في سالف الزمن الرغيد[4] مع رفاقي الكثر
إذ كنّا طلّاب علم، في زهرة الصبا الفوّاحة[5]،
نتفجر حيويةً، بكل ما فينا من قوّةٍ وتفكير
كنّا طلّاباً؛ نضجّ بالمرح، ونغلو من الغلواء.
ونشير بأصابعنا نحو حقولنا وشطآننا
فتتعالى صرخاتنا (بالتعييش) وتحياتنا (بالمرحى)[6] مرحبةً بالعمل والجهد
ثم نزدري سادتنا، فلا نقيم لهم وزناً، إلّا كما يقام للغبار والهباء[7]!!

---

4 - كان ماوتسي تونغ يطلب العلم ما بين (1913 – 1918) في مدرسة دار المعلمين رقم 1 بـ "هونان" في "تشانغ تشا". وكثيراً ما كان يزور هذه الجزيرة مع أصدقائه الطلاب، للتمتّع بمناظرها الخلّابة، وكأنها غانية تعرّت لتتبرد بغدير.

5 - أسس ماوتسي تونغ عام 1917 جمعية "سين مين" ثمّ أعلن عن برنامجها في 18 نيسان من العام التالي. وكان معه من أصدقائه "تساي هو شين" و "هو تشو هينغ" و "تشين شانغ" و "تشانغ كوين تي" و "لو هسيويتسان" ... وغيرهم. وكان من مبادئها التي أعلنها "ماوتسي تونغ" نفسه، أن على كلّ فردٍ منهم أن يستهدف أمراً عظيماً في حياته يقدّم به لشعبه أكبر خدمةٍ ممكنةٍ. وقد أصبح عدد أعضاء هذه الجمعية يوم حركة 4 مايس 1919 نحو ثمانين عضواً.

6 - أي: كنّا نحبّر المقالات ننتقد بها أعمال الحكومة، وسوء تصرّفاتها، غير أننا نؤيد الأعمال الشريفة دائماً بكلمة "مرحى" أو بصيحة "يعيش" كانت الاستعدادات تجري على قدم وساق للاحتفال باعتلاء "يوان تشي كاي" العرش (أيلول 1915) وقام حاكم "هونان" وهو من العسكريين، واسمه: "تان هسيانغ مينغ" بحركةٍ عنيفةٍ بطاشةٍ أخمد بها كلّ مقاومةٍ ضدّ "يوان" فنشر "ماوتسي تونغ" يومذاك كتيّباً، حمل فيه على أهداف "يوان" الامبريالية، فاستقبله الشعب بحماسةٍ عظيمةٍ. وقامت – على إثر ذلك – مظاهرات عنيفة في "هونان" لاسقاط هذا الضابط. وفي كلِّ مرةٍ، كان يقوم طلّاب مدرسة دار المعلمين في "هونان" بمظاهرةٍ وطنية؛ كان "ماوتسي تونغ" دائماً من أقطابها الرئيسيين، وقادتها الأوائل، ومنظميها البارزين.

7 - حينما كان "ماو تسي تونغ" طالباً في مدرسة المعلمين؛ كانت المدرسة بل شعب "هونان" نفسه؛ عرضةً لمعاملةٍ قاسية يمارسها عسكريو "بيانغ". ولقد وضعت "هونان" تحت النير العسكري إذ ذاك، وتوالى عليها ثلاثةٌ من غلاظهم القساة الأجلاف هم:
آ - "تانغ هسيانغ مينغ" أرسله "يوان تشيكى" عام 1913.
ب - "فو ليانغ تسوُو" أرسله "توان كي جوي" عام 1916.
ج - "تشانغ كينغ ياو" أرسله "توان كي جوي" عام 1918. ←

هل تذكرون؟!

كيف كنّا نتخبّط في قلب التيّار، ونكافح الأمواج

لنستنفذ المركب ونقتحم اللجّة؟!

→ ولم يكن هؤلاء السفّاحون، الذين يذبحون الشعب، ويعطّلون التعليم، ليقابلوا من "ماوتسي تونغ" وزملائه؛ إلّا بالكره والازدراء واستمرار المعارضة العنيفة.

عش الكراكي الأصفر[8]

تجوس خلال الصين، تسعة مجارٍ كبرى، فيّاضة بالمياه[9] الغزيرة
ويتغلغل الخط الحديدي في أعماق الشمال ليربطه بالجنوب[10]
ويحرس شطئان يانغ تسي – حيث يتماوج الضبابُ، ويتطاير الرذاذ -
جبلا الأفعى والسلحفاة[11].

*

* *

لقد هجر الكراكي الأصفر عشّه الى حيث لا يدري أحد[12]

---

8 - وزنت هذه القصيدة على بحر (تسي) نظمها الشاعر متأثراً بقصة "بوسامان" وأغنيتها. فقد وفدت على أسرة "تانغ" الحاكمة (618 – 907) بعثة أجنبيّة، تقدّم خضوعها وتبعيتها للبلاط الامبراطوري. وكان النساء فيها؛ قد صفّفن شعورهن تصفيفاً عالياً فوق رؤوسهن، واعتمرن من فوقه بعمرةٍ مذهّبة، سالت عليها حبال اللؤلؤ جداول وضّاءة، ورصّعت بالحجارة الكريمة؛ فأطلق عليهن اسم "بوسامان" أي "البوذيون البرابرة". ولحّنت على شرفهن قطعة موسيقيَّة، تكريماً لهن وترحيباً بهنّ وأعطيت – من بعدُ – هذا الاسم.

وعشُّ الكراكي الأصفر؛ أقيم فوق مرتفع مشرفٍ على "يانغ تسي" إلى الغرب من مدينة "ووتشانغ" في مقاطعة "هوبي". وتقول الأسطورة ان قدّيسا تاوستيّا يدعى "تسي" مرّ بهذا المكان يوماً، ممتطياً جناحي كراكي أصفر، وأقام كوخه عليه.

9 - تسعة المياه الجارية؛ هي روافد "يانغ تسي" في مقاطعة "هوبي كيانغ سي" وذكرت هنا باسم تسعة الأنهار الكبرى.

10- الخط الحديدي يصل ما بين "بكين" و "هانكيو".

11- جبل الأفعى في مقاطعة "ووتشانغ". وجبل السلحفاة في "هانيانغ" يشرفان على "يانغ تسي" من كلا جهتيه، ويطبقان على مجراه؛ عند هذه النقطة، برفقٍ.

12- يشير بالكراكي الأصفر هنا؛ إلى قصيدة للشاعر "تسووي هاو" في زمن أسرة "تانغ" وتحمل القصيدة العنوان نفسه "عشّ الكراكي الأصفر" منها المقطع التالي:

مرّ هنا أحد الخالدين في يومٍ ما، ممتطياً صهوة كراكي أصفر
مرّ واختفى، ولم يخلّف من بعده أثراً سوى كوخٍ مهجور
لقد هبّ الكراكي الاصفر، طائراً؛ وتوارى الى الأبد
وخلّف وراءه سحابةً مستقرّة، تخفق وحدها في الجواء، نقيّةً طاهرة،
ترفرف فوق الامواج الرقراقة، وذرى أشجار "هانيانغ" الذابلة، ←

وبقي الكوخ المهجور وحيداً، محطةً للسَّفْر العابر
ووقفتُ وحدي أنضح ماءَ النهر الدفاق؛ بخمري[13]،
وفي قلبي موجٌ دافقٌ، لا يقلُّ عن أمواجه الهدّارة، عراماً وثورة

→ **وبطاح جزيرة "يونكيتشو" الضنكى.**
حيث يستريح موطني على اعقاب النهار
وتدفّقت الأنـهار، تضاعف موجاتُها الضبابيةُ من احزاني ...

13- يشير بقوله: "أنضحُ ماءه الهاذي بخمري" إلى بيتٍ من قصيدة "سوتشي" (1036 – 1101) يقول فيه:
"أنضح بخمري؛ هذه الموجات المستحمّة بيضاء القمر"

ويرمز "سوتشي بهذا البيت الى الذكريات الحزينة، ذكريات آلاف الأبطال الغابرين، الذين حملتهم موجات الزمن المترادفة الى الأبدية.

أما شاعرنا "ماوتسي تونغ" فيعبّر بنضحه ماء النهر بالخمر؛ عن عاطفةٍ تختلف عن تلك تمام الاختلاف، وقد تتقرّب كثيراً من العاطفة التي ستراها بارزةً في قصيدة (الثلج) حيث يقول:

كلُّ هذا؛ قد اندثر وباد
فاذا كنت تتشوّف الى رجالٍ عظماء حقاً
فما عليك إلا ان تفتش عنهم حواليك، وفي زمنك

ولهذا قال في نهاية قصيدته:
"وفي قلبي موج دافق، لا يقلُّ عراماً عن امواجه الهدّارة"

جبل تسينغ كانغ[14]

فوق ذرى الجبال؛ هناك، تخفق أعلامنا

ومن فوق القمم؛ تتردّد أصداء أبواقنا

إنَّ العدوّ ليضغط علينا بكمّاشةٍ بعدَ كمّاشة

ونحن صامدون لم نتزحزح

لأن نظامنا دقيق صارم، وصفوفنا قويّة كالأسوار

14- هذه القصيدة؛ موزونة على بحر (تسي) نظمت متأثرةً بـ "سيكيانغ يوي" أي "القمر فوق سيكيانغ". وقد اقتبس هذا الاسم من الشاعر "لي باي" (701 – 762) في قصيدته (ذكرى سوتاي) وفيها هذان البيتان:

لا شيء هناك، سوى القمر فوق "سينكيانغ"
وكان نفسه يضيء بلاط الملك "وو وانغ"

وجبل "تسينكانغ" المصمت الأصمّ واقع على الحدود، ما بين "هونان" و "كيانغ سي" يمتدُّ على مسافة تقترب من خمس مئة ميل، تنطوي فيها ثلاث مقاطعات غربي "كيانغ سي" ومقاطعة رابعة شرقي "هونان" وقد هبط "ماوتسي تونغ" في أيلول من عام 1927 على رأس الجيش الأحمر، جيش العمال والفلّاحين؛ ليقيم فيها أسس الثورة الأولى.

وكان "دو سيو كينغ" ممثل لجنة الحزب في مقاطعة "هونان" قد منع يوم 17 تموز 1928 اللوائين الثامن والعشرين والتاسع والعشرين؛ من الهجوم في اتجاه "هونان" مع أنه كان الخطّ الواضح للضربة الحاسمة، وبالرغم ممّا كانت تفرضه وقائع المعركة في جبل "تسينكانغ" ومن أوامر لجنة الحدود الخاصّة ولجنة الحزب للجيش الأحمر الرابع. فانه لم يفعل!!!

وقد أصيب اللواءان، بسبب ذلك، بخسائر فادحة، عرفت باسم "خسران أغستوس". وما كاد "ماوتسي تونغ" يعلم بذلك؛ حتى دخل وطيس المعركة بنفسه، على رأس اللواء الثالث، لانقاذ الجيش، تاركاً للّواء الأول متابعة المعركة في "تسينكانغ".

وانتهز خصمنا القائد "وو تشان" مدير حركات الجيش الثامن في "هونان" فرصة اشتغال قوانا الرئيسية بهذه الحركات، فهاجم "تسينكانغ" من جهة مقاطعة "لينغ" واندفع حتى "هوانغ يانغ يي" فعند ذلك؛ اتجه لواؤنا الأول نحو الجبهة، يسير سيراً دراكاً طوال ليلة الثامن والعشرين من أغستوس، فصبّحها يوم التاسع والعشرين منه. وفي اليوم الثلاثين منه شنّ علينا الأعداء أربع هجمات عنيفة صُدَّت جميعها، وارتدّوا بخسائر فادحة. واضطر أحد ألويته الى الانسحاب نهائياً. واهتبل سائر الجيش فرصة هبوط الليل فانسحب في الظلام الى مقاطعة "لينغ" التي جاء منها، وعاد من حيث أتى. وربحنا نحن النصر في دفاعنا عن "هوانغ يانغ يي".

وإرادة كلٍّ منّا قلعته

ومدفعنا يلعلعُ حول هوانغ يانكي[15]، وهو يقول:

عندما يهبط الليل بجرانه؛

سيلوذ العدوّ بالفرار حتماً

15- و "هوانغ يانغ يي" نقطة ستراتيجية، على احدى الطرق الرئيسية في جبل تسينكانغ. وفيه خمسة مسارب هي:

آ - "تونغ مولينغ" في الشمال الشرقي.

ب - "تشو تشا تشونغ" في الجنوب الشرقي.

ج - "سوانغ ماتش" في الجنوب الغربي.

د - "باميين تشان" في الشمال الغربي.

هـ - "هوانغ يانغ يي" على يسارها وادٍ سحيق؛ قام على يساره جبلٌ شاهق صعب المرتقى، وعلى يمينه صخور عاتية وعرة.

رأس العام[16]

نينغوا، وتسينكلو، وكويهوا[17]

مخارف ضيّقة، وغابات دغلة عميقة، ووحل زلق ...

إلى أين تقودنا خطواتنا اليوم؟!

إلى الأمام، نحو ووبي، عند سفح الجبل

ستفرش الريح علمنا الأحمر، لوحةً مصوّرةً رائعة

16- وزن هذه القصيدة، من بحر (تسي) نظمت متأثرةً بـ "جومولينغ" أي (كأنه حلمٍ) وهو مقتبس من بيتٍ للأمبراطور "تشوانغ تسونغ" من أسرة "تانغ" (923 – 926) يفتتحه بقوله:

كأنه حلمٌ، كأنه حلمٌ

اقتحم "ماوتسي تونغ" حدود "فوكيان" للمرّة الثانية (نيسان 1929) على رأس الجيش الأحمر الرابع. وعقد مؤتمر الحزب للجيش الرابع في "كوتيان" قرب "فوكيان" من مقاطعة "شانغهان" (كانون الأول" وقدّم فيه تقريراً عن نتائج تجربة عامين في تنظيم الجيش الأحمر؛ فصودق على لائحته وحلوله، وقوبلت بترحاب.

ولما حلّ الجيش الرابع في "فوكيان" اضطرب خصومنا حكّام "الكومينتانغ" ونظم "شان كاي شيك" تجريدة حشدها من ثلاث مقاطعات جعل رأس كل جيشٍ منها قائداً هم:

آ - "كينغ هان تينغ" من "كيانغ سي".

ب - "ليو هو تينغ" من "فوكيان".

ج - "تشين وي يوان" من "كوانغ تونغ".

وانصبّت جميعها على الجبهة الغربية من "فوكيان" فوقف جيش المؤتمر يقاتل بكلّ إمكانه، بينما هبطت طلائعه فوق "سياوتشي" على ثلاثين ميلاً من "كوتيان" وبعد انفضاض المؤتمر؛ عزمت لجنة الجبهة للجيش الرابع على حصار ساقة العدوّ. فغادرت "كوتيان" أربع كتائب من الجيش الأحمر الرابع متجهة شمالاً، مارّةً بـ "ليين تشين" و "تسينغ ليو" و "كويهوا" و "نيغهوا" وجبل "ووبي" القائم غربي "فوكيان" لتلتفَّ حول "كيانغ سي" وتقوم هناك بحرب العصابات.

وقد أنشئت هذه القصيدة؛ اثناء تلك المسيرة.

17- مقاطعات ثلاث من منطقة فوكيان. وقد سمّيت الأخيرة منها عام 1933 "مينغهسي" ثم أطلق عليها عام 1956 اسم "سان مينغ".

و "ووبي" اسم لسلسلة جبالٍ متوضّعةٍ ما بين "كيانغ سي" و "فوكيان".

هويتشانغ[18]

هذا الصبح؛ أخذ يتبلّج في الأفق الشرقي
فلا تقل بأنا قد خففنا للسير مبكّرين
لم يهرم الرجل بعد، فيعجز عن التجوال في جبال عديدةٍ مخضوضرة
إنّ هذا المنظر الرائع؛ سيبقى عديم الشبيه، نادر المثال

*

*   *

الذرى الوطفاء؛ تمتدُّ من وراء هويتشانغ
متسلسلةً متهادية، حتى تترامى على البحر الشرقي
ويشير المحاربون بأصابعهم إلى كوانغ تونغ
التي ما زالت حتى اليوم؛ تفيض ازدهاراً وحلاوةً

18- وزنت هذه القصيدة على بحر (تسي) ونظمت متأثرةً بـ "تشينغ بينغ ليه".

في كانون الثاني من عام 1930 دخل الرئيس "ماو" على رأس الجيش الرابع الأحمر مقاطعة "هويتشانغ" في جنوب "كيانغ سي"، هبط عليها من غرب "فوكيان".

تحدُّ هذه المقاطعة من الشرق بـ "فوكيان". ومن الجنوب؛ بـ "كوانغ تونغ" حيث وطّد الجيش الأحمر قواعد ثورة "كيانغ سي" الاستوائية. وقد كتب الرئيس "ماو" يوم 5 كانون الثاني رسالته المشهورة التي يقول فيها: **"ان شرارةً صغيرة؛ قد تحرق سهلاً بأكمله"** يشير الى: **"ان الثورة؛ ستنتشر – حتماً – في جميع انحاء الصين" فهي تشبه "قرص الشمس، الذي تخترق اشعته غبش المشرق، فترى في ذرى الجبال الشمّاء".** وهو يرمز بذلك الى أخطاء بعض رفاقه **"ممن كانوا لا يعتقدون بأن هذه الدفقة ستفيض قريباً"**، اذ كان مخطّط معركة "كيانغ سي" لا يبرهن عليها.

هذا العرض؛ يمكن أن يرشدنا الى تفهّم الظروف التي نظمت فيها القصيدة وقد افتتحها الرئيس "ماو" بقوله:

لا تقل بأنا سرنا مبكرين

متوجهاً بهذا القول الى بعض الرفاق من هؤلاء، على وجه التأكيد.

تابوتي[19]

مَن الذي يتراقص في السماء، بهذا الشريط الملوّن؟!
مِن أحمر، على برتقالي، في أصفر أثر أخضر،
ومن أزرق، على نيلي، الى بنفسجي؟!
يتنفّس الجبل غبّ المطر، وعند الأصيل
كأمواج خضمٍّ ثائر
هنا، في هذه الأرجاء، قامت – فيما مضى – معركة طحون
مزّقت قنابلها جدران القرية،
وشقّقت شعاب الجبل، فطُرِّزت بالشقوق تطريزاً
وبدا جمالها اليوم، مشرقاً وضاحاً

19- نظمت هذه القصيدة، متأثرة بالعامل نفسه الذي دعا الى نظم قصيدة (عش الكراكي الأصفر).

و "تابوتي" ناحية قريبة من "جويكين" كانت في مستهلّ عام 1930 قطعة من "فوكيان". ثمّ انضمّت الى "كيانغ سي"؛ ولقد خيّم جيشنا الرابع الأحمر في "هوانغ بيزو"، على نحو عشرين ميلاً الى الشمال منها. كان ذلك في مفتتح السنة الجديدة من التقويم القديم. وكان جيش الاعداء اذ ذاك يتعقّب جيشنا يقوده "ليو سيسي". ونحن نتجمّع ونحتشد في "تابوتي". وقد استفاد جيشنا من طبوغرافية مركزه جنوب هذه المقاطعة، فكمن للعدوّ في مكانٍ مناسبٍ. وفي صباح أول يوم من السنة الجديدة شنّ الحرب على جبهته، وأحاط – في الوقت ذاته – بجانبيه وساقته، وأدار عليه حرباً ضروساً استمرّت يوماً بكامله فاندحر وتشتّت تاركاً لنا أكثر من 800 أسير عليهم القائدان "تسي بينغ" و "تسونغ هوين". وكتيبتين كاملتين.

وكان نصرنا يومذاك نصراً مؤزّراً مبيناً.

مسيرة لوشان[20]

الرياح الغربية؛ تعصف بعنفٍ وشدّة
والأوز البريّ؛ يزقو في أعماق الجواء المتجلّدة
المجمّدة بقمر الفجر.
والخيل؛ تخبُّ بضجّةٍ متكسّرة
والنفير؛ تردّد الأجواءُ صدى تنهّداته اللاهثه ...

*

*   *

20- هذه القصيدة من بحر (تسي) نظمت متأثرة بـ "يي تسين ايه" ومعنى "يي" في اللغة الصينية (ذكرى) و "تسين ايه" اسم علم لسيدةٍ من أشراف الامبراطورية على عهد "تانغ".
وقد اقتبست هذه التسمية من بيتٍ في قصيدةٍ للشاعر "لي باي" يقول فيه:
لقد حطّمت "تسين ايه" حلمها
وما زال محمّلاً بضياء القمر

و "ليوشان" نقطة ستراتيجية في الجبل الذي تحمل اسمه "ليوشان" شمالي "تسو ينيي" في "كويتشيو". وموقعهما قريب من أعلى قمم سلسلة "ليوشان". قام قريباً منها "كوخان" وصورة كتب عليها الكلمات الثلاث الآتية، بحروف كبيرة جداً، مستقيمةٍ، كأنها حرابٌ شامخةٌ في الجوّ، متجهة نحو السحاب **(ليوشان كوان)** تحيط بها ثلاثة معاول، وحولها ثلاث طرقٍ متمعّجة كأنها حبال ملتفّة متلوّية بعضها يعانق بعضاً .. هذا المنظر، يوحي لنا بأن امرأ واحداً اذا بدأ المسير؛ فإن خطواته تعادل عشرة آلاف رجلٍ قَعَدَةٍ ساكنين بغير حراك.

وفي أثناء المسيرة؛ استولى الجيش الأحمر، جيش العمال والفلاحين بقيادة "ماوتسي تونغ" على "تسوينيي" ليلة 4 كانون الثاني عام 1935. فدعت لجنة الحزب المركزية الى مؤتمر موسّع يعقده المكتب السياسي في "تسوينيي" نفسها، تردَّدَ صداه التاريخي، بعد ذلك، زمناً طويلاً جداً، وسمّي (مؤتمر تسوينيي).

وغادر الجيش الأحمر هذه المدينة يوم 19 كانون الثاني مجتازاً نهر "يانغ تسي" ما بين "لوتشيو" و "بينغ" للاتصال بالجيش الرابع القائم على الجبهة. وكان الأعداء قد حشدوا قوى هائلة في هذا المكان اضطر معها جيشنا الى تغيير خطته، وارتدّ عائداً الى "تسوينيي" فاتبعه "وانغ كياليه" قائد جيش "كوتيشيو" بكتيبتين ليقطع عليه طريقه ويقف مسيرته. فاندفعت عليه كتائبنا: العاشرة، والحادية عشرة، والثانية عشرة، والثالثة عشرة. وهاجمته في نقطةٍ وسطٍ ما بين هذه المسيرة و "بينتسياو"، فحطمت مقاومته واستتبّ الامر لجيشنا الاحمر وسيطر على الموقف، فعاد واستولى على "تسوينيي" من جديد ... .

لا يذهبنّ بك الظهر، الى أن هذه المسيرة الجبّارة من حديد
إنّا – منذ ذلك اليوم – نجتاز أعراف الجبل بخطواتٍ راسخةٍ
فسيحة
هذه الجبال، الخضراء كالبحر
تميل خلفها الشمس الى المغيب
حمراء، كأنها مغموسة بدم

ثلاث مقطوعات[21]

جبال شاهقات!!

أصعّد فيها، ممتطياً صهوة جوادي، وأسوطه لاستحثّه

ثم أعود فأفاجأ

إذ أجدني: بثلاثِ أرجل، وثلاثةِ أصابع، مشيرةٍ نحو السماء[22]

*

*   *

جبال شاهقات!!

أيّ أنهارٍ راعبةٍ تشقّها، وأي بحارٍ هادرةٍ تضمّها

كأن أمواجها ألوف من الخيل

تمزع في مضمارها، ممراحةً نشطة

*

*   *

جبال شاهقات!!

21 - نظمت هذه المقطوعات الثلاث متأثرةً بـ (تشي ليو تسي لينغ) ومهناه: **ستّ عشرة كلمة.**

وفي الواقع؛ فإن كلّ مقطوعةٍ منها؛ متركبة من ستّ عشرة كلمة فقط، في أصل لغتها الصينية.

أنشئت هذه المقطوعات الثلاث؛ أثناء المسيرة الكبرى.

22- من الاغاني الشعبية المشهورة:

من فوقنا جبل الجمجمة

ومن تحتنا جبل الكنز

ونحن بثلاثِ ارجل، وثلاثة اصابع، مشيرةٍ نحو الشمال

ولكي تجتازه ماشياً؛ يجب ان تحني رأسك

وامّا ان شئت اجتيازه راكباً؛ فعليك ان تترجل!!

تناطح ذراها السماء، ولا تكدي أو تتثلّم

وتنحني عليها السماء

فاذا هي صقالتها التي تحملها

المسيرة الطويلة[23]

لقد رأى الجيشُ الاحمرُ - خلال معاركه الطويلةِ، الشيءَ الكثير
غير أنه قليلٌ يسيرٌ؛ إذا قيس إلى مدِّ أمواجه، وطول جباله
فسلاسل الجبال الخمس[24]؛ تبدو لنا كأنها أسارير ناعمة وتجعّدات لطيفة،
تحتبي بينها "ومُنغ" الجسيمة كأنها كرة عظيمة[25]
يسوط الرملُ الذهبيُّ صخورَها فيسخّنها[26]
وتمتدُّ "تاتو"[27] جسراً على سلاسل من جبالٍ متجلّدة
و "مينشان"[28] التي استأثر ثلجها العظيم بأبصارنا،
أشاعت ابتسامتها للجيش؛ إذ مرَّ بها، واجتازها

23- نظمت هذه القصيدة على بحر (تشي) وهو بحرٌ متزنٌ منظم يسمى "تسي ليو" كذلك، تتركب القصيدة فيه من ثمانية أبيات، ويتألف كلّ بيتٍ فيها؛ من سبع تفاعيل.

وقصة هذه المسيرة الطويلة: أن الجيش الاحمر، جيش العمال والفلاحين؛ غادر قاعدته الثورية في "كيانغ سي" (تشرين الاول 1934) مارّا بمقاطعة "فوكيان"، و "كيانغ سي" و "كوانغ تونغ"، و "هونان"، و "كوانغ سي" و "كويتشيو"، و "يونّان"، و "سيكانغ"، و "سيتشوان" و "كانصو".

وكان يقطع كل يوم نحو 25 ليّا (نحو 13 ميلاً) حتى حطّ في تشرين الاول (اكتوبر) 1935 عند "شين سي" في الشمال، وهي قاعدة المقاومة الرئيسية، ضدّ الغزاة اليابانيين.

24- تمتد السلاسل الخمس على: "هونان، و كوانغ تونغ، و كوانغ سي، و كويتشيو".

25- "وو مينغ"؛ سلسلة جبالٍ على تخوم "يونّان" و "كويتشيو".

26- الرمل الذهبي: اسم أطلق على الجزء العلوي من نهر "يانغ تسي". أشير به هنا؛ الى الجزء المارّ بمقاطعة "يونّان".

27- "تاتو": اسم نهر يجري في "سيتشوان". وعلى هذا النهر؛ أقيم جسر "لوتينغ" المشهور، فوق ثلاث عشرة دعامة قائمة فيه لتصل ما بين شاطئيه.

28- "مينشان": سلسلة جبال قائمة على حدود مقاطعات: "تسينغ هاي" و "قانصو" و "شنسي" و "سيتشوان".

جبل ليوپان[29]

السماء عالية سحيقة البعد، والغيوم وضّاءة تتشعشع.
والعين تتابع الأوزّ البري، وهو يتّجه نحو الجنوب اللامتناهي ...
لن نكون رجالاً بحقٍّ؛ ما لم نصل إلى السور العظيم ونحطّ عليه
فلنعدّ - على الأصابع – مسيرةً طولها عشرون ألف "ليّ"
ولترفرف رايتُنا فوق قِمّة جبل "ليوبان" تحت وقع رياح الغرب ...
نحن نقبض اليوم بأيدينا على الجبل الطويلةِ
فمتى يحين أوان القبض على التنّين الأخضر[30]؟!

29- وزنت هذه القصيدة على بحر (تسي) نظمت متأثرةً بـ "تسينغ بينغ ليه". يقوم جبل "ليوبان" على الجانب الجنوبي الغربي من مقاطعة "كويوان" جنوباً من "كانصو". ولا يمكن التوصّل الى قمته، الّا بمسربٍ ضيّق مستشرفٍ كالجدار، يُستعان عليه بالحبال، ويُدارُ حوله ستُّ دورات (ليوبان) وقد تمكّن "ماوتسي تونغ" عام 1935، وهو يقود الجيش الاحمر جيش العمال والفلاحين، من اجتياز العقبة الكأداء التي أقامها الاعداء في وجهه على جبل "ليوبان" وهبط فوق شمال "شنسي" في تشرين الاول (اكتوبر) من العام ذاته.

30- التنّين الاخضر؛ اسم أطلق على مجموعةٍ مؤلفةٍ من سبعة نجوم في المشرق. وكان القدماء يستخدمون أسماء النجوم؛ لتوصيف بعض البلاد. ويشار بنجوم التنّين الاخضر هنا؛ الى جيش الغزاة الامبرياليين اليابانيين، وقد هبطوا على الصين من المشرق.

كوين لوين[31]

امتد كوين لوين العملاق عبر الفضاء، فأشرف على الكون،
وتمتّع بجمال الأرض كلّه
وانتفض ثلاثة ملايين تنّين من اليشب، تخفق بأجنحتها خفقاً[32]
فاستولى البرد القارص على السماء جميعها.
وحان الصيفُ، فذابت الثلوجُ، وفاضت أنهارُنا وطمّت[33]
وأصبح الناس – في الفيضان – أسماكاً أو سلاحف
كفاءَ حسناتهم، أو وزنَ السيئات ...
مَن كان يستطيع – آنذاك – أن ينبس بكلمة
أو يدلي برأي؟!!

31- نظمت هذه القصيدة على بحر (تسي) متأثرةً بـ "نيين نوكياو" ومعناها: (نيه ن نو الجميلة) وهو اسم مغنيةٍ مشهورة جداً عاشت زمن أسرة "تانغ".
و "كوين لوين"؛ جبل متوضّع في "سيكيانغ"، عند أعالي نهر "خوتان". وقد يطلق هذا الاسم كذلك، على سلسلة الجبال الممتدّة من هضبة "البامير"، حتى الجنوب الغربي من الصين، مارةً بتخوم "سينكيانغ" و "التيبت". وهي تضمّ كثيراً من هضاب "تشينغهاي" و "كانصو" و "مينشان"، لانها واقعة على حدود "تشينغهاي" و "كانصو" و "سيتشوان".

32- يقول القدماء: عندما يقع ثلاثة ملايين التنّين من اليشب في الأسر؛ تتطاير حراشفها المنتزعة وتتناثر في الجواء والسماوات ... وهم يرمزون بذلك؛ الى العواصف الثلجية.
يقول الشاعر:
"لقد استعرت هذه الصورة لاصف بها الجبال المغشّاه بالثلج".
وفي الواقع؛ انه حينما يلقي المرء بنظره من أعالي جبال "مينشاو" زمن الصيف؛ يشاهد مجموعةً من الجبال كأنها تتراقص في عاصفةٍ بيضاء.
وتقول الاسطورة الشعبيّة: ان هذه الجبال لتتوهّج اذ يمرّ بها ملك القرود "سوين وو كنغ" فيخمد شواظها بمروحته العملاقة المنسوجة من مُزَق الاعلام التي استولى عليها. ولذلك فهذه الجبال ناصعة البياض يققة.

33- قوله: (فاضت أنهارنا وطمّت) يشير به الى ما قد يحمل الفيضان أحياناً من جذوع الاشجار الضخمة، حين تذوب الثلوج المتراكمة على ذرى "كوين لوين" صيفاً، وتمدّ منابع نهري "يانغ تسي" و "هوانغ هو".

*

*   *

أما الآن؛ فأنا الذي يحدّثك يا كوين لوين

لا تتعاظم بنفسك وتشمخ في عنان الجوّ، حتى تتعمّم بالثلج

أفلا أستطيع أن أجعل السماء مرتكزي، واستلّ حسامي

فأقدّك ثلاث قطع؟!

أهبُ قطعةً لأوروبا

وأخرى لأمريكا

واستبقي الثالثة للصين؟!

أيها الكون المسالم!!

ستبقى الأرض كما هي. وسيبقى على ظهرها النقيضان:

السخونة والبرودة!!

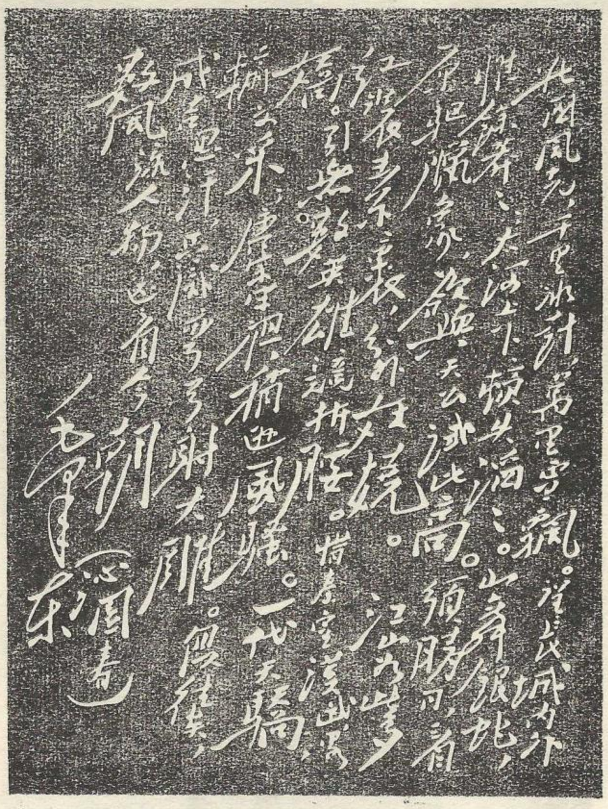
الثلج[34]

ألف "ليّ" من فرسان الجليد في الشمال
وعشرة آلاف "ليّ" من الثلج المتطاير؛
فوق السدّ العظيم، وفي قلبه، وعلى حواشيه، وحواليه
لا شيء سوى بياض منسابٍ إلى أبعادٍ لا حدود لها.
النهر العظيم، من منبعه إلى مصبّه[35]
تخمد وثباته الجبّارة فجأةً
وتتراقص الجبال، كما تتراقص حيّات فضيّة
وتتكوّر هضاب "شنسي" و "شانسي" كأنها فيلةٌ من الشمع
تتسامى مستعليةً، تشرئب بأعناقها لتسامت السماء أو تعانقها
فيغلّف احمرارها يوم ضحيان ببياض ناصعٍ
يجعل من جمالها الساحر طلّسماً عديم المثال.
أي جمالٍ مفتانٍ، في هذه البلاد، وأيّ جاذبيّةٍ خلّابة
انحنى أمامها أبطالٌ لا حصر لعديدهم، إعجاباً بها
وا أسفاه**!!** لقد كان ينقص الأمبراطورين "تسين شيهوانغ"
و "هان ووتي"[36] بعض الروح، كما نقص الامبراطورين "تانغ تيتسونغ" و "سونغ تيتسو"[37] الميل إلى تذوّق الأدب.

34- هذه القصيدة من بحر (تسي) نظمت متأثرة بـ "سين يوان تشوين" أي الربيع في حديقة "سينّ".
35- النهر العظيم؛ هو نهر "هوانغ هو".
36- "تسين تشيهوانغ"؛ أول امبراطور من أسرة "تسين" التي حكمت ما بين 246–210 ق.م.
"هان ووتي" هو الامبراطور (وو) من أسرة "هان" التي حكمت ما بين 140– 8 ق.م.

كان ابن السماء الحبيب "جنكيزخان"[38] لا يعرف غير نزع قوسه
في وجه النسر العملاق
أمّا الآن؛ فقد ذهب كلُّ شيء
وإذا كنّا نفتش عن رجالٍ عظماء حقاً؛
فما أجدرنا أن نرنو الى حاضرنا وننظر حوالينا

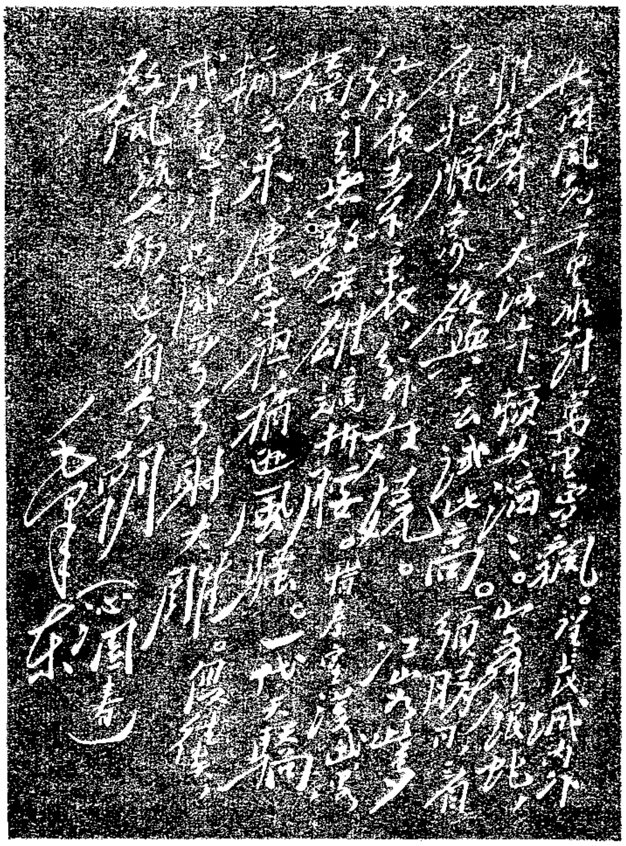
37- "تانغ تيتسونغ": هو الامبراطور (تيتسونغ) من أسرة "تانغ" التي حكمت ما بين 627 – 649.
"سوانغ تيتسو": هو أوّل امبراطور من أسرة "سونغ" التي حكمت ما بين 960 – 976.
38- جنكيزخان: هو الغازي المنغولي المشهور، وقد حكم ما بين 1206 – 1227 م.



北国风光，千里冰封，万里雪飘。望长城内外，惟余莽莽；大河上下，顿失滔滔。山舞银蛇，原驰蜡象，欲与天公试比高。须晴日，看红装素裹，分外妖娆。江山如此多娇，引无数英雄竞折腰。惜秦皇汉武，略输文采；唐宗宋祖，稍逊风骚。一代天骄，成吉思汗，只识弯弓射大雕。俱往矣，数风流人物，还看今朝。

毛泽东（沁园春）

الثلج : بخطّ المؤلف نفسه



الثلج : بخطّ المؤلف نفسه

إلى ليو يا تسي[39]

حملتُ من كانتون، ذكرى اجتماعنا على حسو الشاي[40]
والاستماع إلى أشعار تشونكينغ[41]، تحت شلّالٍ من ورق الشجر

39- هذه القصيدة من بحر (تشي) ويسمى "تسي ليو" كذلك.
في 18 آذار 1949 وصل "ليو يا تسي" من "هونكونغ" الى "بكين" بطريق "كياو تونغ"، وبصحبته بعض الشخصيات الديمقراطية. وفي 25 من الشهر ذاته؛ وصل الرئيس "ماو" كذلك الى "بكين" قادماً من "تشي كيا تشوان" وكان "ليو يا تسي" في استقباله على أرض المطار، وقدّم له مقطوعةً شعريةً نظمها في تمجيد الثورة. وفي 28 من الشهر ذاته قدّم للرئيس قصيدةً أخرى عنوانها (حالة الروح) بثّه فيها بعض شجونه وعبّر فيها عن رغبته في العودة الى بلده ومسقط رأسه. فبعث اليه الرئيس "ماو" هذه القصيدة يوم 29 منه يسمح له فيها بالعودة الى مقاطعته (كيا نكصو). وكان "ليو يا تسي"، قد شارك في الثورة مشاركة ذات قيمة، خصوصاً في اخريات أيام أسرة "تسينغ". وهو مؤلف لقصائد وطنيّة مشهورة جداً.

40- أدار "ماوتسي تونغ" المعهد الوطني للحركة الفلّاحية بكانتون، ما بين 1925 – 1926. وكان على صلةٍ وثيقةٍ اذاك، مع "ليو يا تسي" وقد بعث اليه الشاعر مرةً بقصيدةٍ مهداةً اليه والى السيدة "لين بو كيو" و "وو يو تشونغ" و "سوي تي لي" و "تونغ بي وو" و "تشانغ تشو تشي". قال فيها:

اذا كانت الرغبة في بناء الدولة
قد جمعتنا تحت سماءٍ مربدّةٍ
فسنبقى ذاكرين الشاي
الذي حسوناه في كانتون

41- ذهب الرئيس "ماو" عام 1945 الى "تشونكينغ" لاجراء محادثات من أجل السلم مع "الكومينتانغ". فبعث اليه "ليو يا تسي" بهذه الابيات:

لقد افترقنا في "كانتون"
ومضى علينا تسعة عشر ربيعاً
ثم تلاقينا في "تشون كينغ"
فتصافحنا بفرحةٍ عارمةٍ
وكانت قلوبنا ونفوسنا
متأثرةً بعظمة الشجاعة
فليحلّ السلام على الشعب العامل
وليصبح الوطن، المعاد بناؤه؛ مطراً كريماً
وليشتدً التواصل ما بين البرق والسحاب ←

لقد غبت عن "المدينة القديمة"، إحدى وثلاثين سنة[42]

وعدتُ إليها تحت الأزهار، لأستمعَ بآثارك الجليلة[43]

لا تدع قلبك ينكسر في مضابث الآلام[44]

وانظر الى كل شيءٍ في العالم بصدرٍ رحبٍ

لا تقل: إن بحيرة كوينمنغ[45]: ضحلةٌ قليلة العمق

فاصطياد السمك ممكن، على طريقة فوتشوين[46]

→ **وليتمازج الينبوعان "تشونغ سان" و "كارل"**
ولتفترّ مباسم كبار الحكماء سروراً فوق "كوين لوين"

فكتب اليه الرئيس "ماو" على الاثر، قصيدة الثلج. وكأنه يشير بقوله: **(الاستماع الى اشعار تشون كينغ)** الى طلب "ليو يا تسي" من الرئيس "ماو" انشاء هذه القصيدة.

42- أوّل مرةٍ دخل فيها الرئيس "ماوتسي تونغ" "بكين" كانت في أيلول 1918 ثم غادرها ولم يعد اليها الّا عام 1949 أي بعد احدى وثلاثين سنة. ولم تكن "بكين" قد عادت عاصمةً كما كانت. فلذلك أطلق عليها اسم "المدينة القديمة".

43- أنشأ "ليو يا تسي" في 28 مارس 1949 قصيدة (حال الروح) ليقدمها الى الرئيس "ماو"، وكان ممّا قال فيها:

انت اكبر من ان تخلق سماءً وارضاً!!
وانه ليزعجني ان امالق عظيماً بهذا النمط!!
انا لست مثل "وو لو" لاصبح خطيباً عظيماً
وانه لمريرٌ عليَّ ان اتبع بدون عربةٍ، كما فعل "فونغ هوان"
لقد تنهّدت طويلاً، وتأوّهت لحياة غير ذات قيمة
غير اني اشعر في اعماقي بنجيع قلبي يتدفق
فليحرز جيشنا الجنوبي النصر
ولتصبح بلدي "فينهو" مرعىً "لتسي لينغ"

"وو لو" الذي ذكره هنا، هو "وو لو تشونغ تسونغ" مدير المدفعية لدى سلالة "هان". و "فونغ هوان" سياسي معروف زمن الملكية على عهد أسرة "تسي" (مملكة مناضلة حكمت ما بين 403 – 221 ق. م.) وكان مولىً من الدرجة الثالثة لدى الامير "مونغ تشانغ". ولما لم يستطع الحصول على عربةٍ يخرج بها في المواكب؛ كثر تشكّيه، وكاد يفارق مولاه الامير بسبب ذلك ... و "تسي لينغ"؛ هو "ين تسي لينغ" من حكماء أسرة "هان" الشرقية (انظر التعليق رقم 46).

44- شرح "ليو يا تسي" في قصيدته التي بعث بها الى الرئيس "ماو" بعض الآلام المريرة التي يعانيها؛ فنصحه الرئيس بألّا يستسلم للأحزان واليأس.

45- "كوينمنغ"؛ بحيرة في قصر "بكين" الصيفي.

جواب: إلى صديق

في احدى الأمسيات، اذ كانت تقدّم مسرحية تذكارية[47]، للعيد الوطني عام 1950 ارتجل "ليو يا تسي" قصيدةً على وزن (تسي) متأثراً بأسلوب "وان هسي تشا" فأجبته ارتجالاً بهذه القصيدة، على وزن قصيدته ورويّها:

"ماو"

طالت الليلة في سمائنا، وتمطّت عتمتها، فما تبضُّ بضوء
وتراقصت فيها شياطين وثّابة خفيفة، على امتدادِ عصرٍ كامل
وامتنعت الوحدة على خمس مئة مليون نسمة

46- كان في أول عهد أسرة "هان" الشرقية (25 – 220 م.) رجل يدعى "ين كوانغ"، يلقبونه "تسي لينغ"، ترفّع عن القيام بخدماتٍ عامةٍ، فاعتزل المجتمع، وانجحر في مقاطعة "تشي كيانغ" يقطع أيامه بصيد السمك على ضفاف نهر "فوتشوين"، وقد أشار الشاعر هنا بـ "فوتشوين" الى "فينهو" مهبط رأس "ليو يا تسي". وكأنه ينصحه بالبقاء في "بكين"، ليشارك في أعمال الدولة، ويعدل عن رأيه في الانسحاب والاعتزال في بلده.

47- ألّف "ليو يا تسي" قصيدتين تأثّر فيهما بـ "وان هسي تشا" قدّمها بما يلي:
"أمضت يوم 3 تشرين الأول في "هواي جين تانغ"، أمسيةٍ عبقةً بالغناء والرقص، قامت بها مجموعات من مواطني الجنوب الغربي من "سيكيانغ وينبين (كيرين) ومنغوليا الداخلية" وكلّفني الرئيس "ماو" بنظم أبياتٍ تخلّد ذكرى هذا العيد السعيد الذي تمّت فيه الوحدة الكبرى. فنظمت قصيدتين، اليك احدهما:
شجر من لهبٍ، وزهور من فضة، وسماء صافية
وهنا اخوة واخوات يتراقصون فرحين
تحت ضوء البدر البادر المدوّر
تهدهد تموّجات أشعته الاغاني.
لقد نُظِّموا عفواً، لم يتكلّف قيادَتهم احدٌ
وتوحّدوا، وهم مئة شعب.
فيا لسعادة العيد، في هذه الامسية الممراحة
وقد كنى "بالبدر البادر المدوّر" عن المجموعة القازاقية.

*

*   *

ثم أضاء الكون كلّه

مع انبثاق الفجر، وتغريدة الديك

بموسيقاه العالمية، كما تغرّد خوتان[48]؛

كلّما تشرّبها الشاعر؛

حلّقت روحه في الجواء

48- رمز "بالموسيقا العالمية وتغريدة «خوتان»" الى المجموعات الفنيّة من مختلف القوميّات، من "سينكيانغ" و "ين بين"، و "منغوليا الداخلية".

و "خوتان"؛ هي احدى الممالك الغربيّة، وكانت خاضعةً لأسرة "هان" وهي اليوم جزء من المنطقة المستقلّة بلغتها القوميّة في "سيكيانغ"، وتعني هذه الكلمة هنا: المجموعة الفنيّة القادمة من "سيكيانغ".

بيتاي هو[49]

تساقط المطر فوق يوين[50] مدراراً كالسيول

فاذا الأمواج البيضاء، تتعالى حتى عنان السماء.

ومراكب الصيّادين تتراءى خلف تسين هوانغ تاو

أما الآن؛ فلا تحسُّ لهم حسيساً،

فوق صفحة هذا الفسيح الممتدّ من الماء. ولا ترى أثراً

فإلى أين ذهبوا؟!

*

*   *

جاء وي وو[51]؛ منذ أكبر من أَلف عام

يفرقع سوطه في يده

وحطّ على شرقي كيه شي[52]، كما ذكر في شعره.

ان ريح الخريف الحزينة[53]، ما زالت حتى اليوم

49- أنشئت هذه القصيدة على وزن بحر (تسي) متأثرة بـ "لانغ تاو تشا" أي (الامواج تغسل الرمل) وترجع هذه التسمية الى أغنيةٍ قديمة منذ زمن أسرة "تانغ".

و "بيتاي هو"؛ مصيف ساحلي ومسبح مشهور غربي "تسين هوانغ تاو" في "هو بي"

50- وكانت "هو بي" الحالية تسمى قديماً "يو ين".

51- "وي وو" هو القائد المشهور تساو تساو (155 – 220 ق. م.) على عهد الامبراطوريات الثلاث (220 – 280) وهو مؤسس مملكة "وي". أما لقب "امبراطور" فابنه هو الذي أطلقه عليه فأصبح يدعى: "الامبراطور ري وو".

52- خلّف "تساو تساو" في تاريخ الادب قصائد وفيرة منها التي عنوانها "نظرة على البحر اللازوردي" افتتحها بقوله:

"في الشرق؛ احطّ على كيه شي"

و "كيه شي" هذه؛ رأس صخري داخل في البحر قرب "بيتاي هو". كانت على عهد أسرة "هان" قطعة من القارّة، ثم غرقت في ماء بحر "بو هاي" زمن الأسر الستّ.

وكان "تساو تساو" يمرُّ بـ "كيه شي" كما ذهب الى قتال تَتَرِ "وو هوان".

تقوم بدورها كالمعتاد

أَمّا الدنيا؛ فهي التي تغيّرت

53- "ريح الخريف الحزينة" مقتبسة من أحد أبيات القصيدة المتقدمة:

ريح الخريف الحزينة

تفور بها امواج عظيمة

السباحة [54]

لم أكد أرتوي من ماء تشانغ تشا

وأطعم من سمك وو تشانغ[55]

حتى ارتميت سابحاً أخترق النهر اللانهائي العظيم ذي الألف ميل

وأطلقت عينيّ في سماء تشو، تتمتعان بالخواء

غير مفكّر بالرياح العاصفة، ولا مبالٍ بالأمواج المصطخبة

أمّا اليوم فقد تحرّرت، كمكسالٍ يتسكّع في أبهاءِ قصره.

ووقفتُ على شاطىء النهر. فقال لي الربّ[56]:

كلُّ ما في الكون؛ يجري ويمرّ، كما يسيل هذا الماء[57].

الصواري؛ تهتزّ - تحت الريح – وتتراقص

أَمّا جبلا السلحفاة والأفعى[58] فلا يريمان مكانهما

54- وزنت هذه القصيدة على بحر (تسي) متأثرة بـ "تشوي تياو كي" ومعناها: "تمهيد أمام معزوفة تشوي تياو".

كان الشاعر قد اجتاز نهر "يانغ تسي كيانغ" سباحةً من "وو تشانغ" الى "هانكيو" (مايس 1956). وقطعه مرةً ثانيةً أوائل الشهر التالي، من جهة "هان يانغ"، ومرّ تحت قنطرةٍ من الجسر الكبير ثم اندفع الى "وو تشانغ". أما المرّة الثالثة، التي اجتاز فيها النهر؛ فكانت من الطريق نفسها التي اتبعها في المرّة الثانية. ولكنه يتحدَّث هنا عن المرّة الاولى وحدها.

55- نتذوّق في البيتين الاولين صدى أغنية شعبية معروفة، كانت شائعةً زمن الممالك الثلاث، تحت امرة الملك "وو" ومنها هذان البيتان:

خيرٌ لك ان تشرب من كينيي

من ان تأكل سمك وو تشانغ

56- يقصد بالرب: "كونفوشيوس".

57- هذان البيتان مقتبسان من قصيدة للشاعر "لوين يو" (محادثة مع كونفوشيوس، الفصل التاسع) وهما:

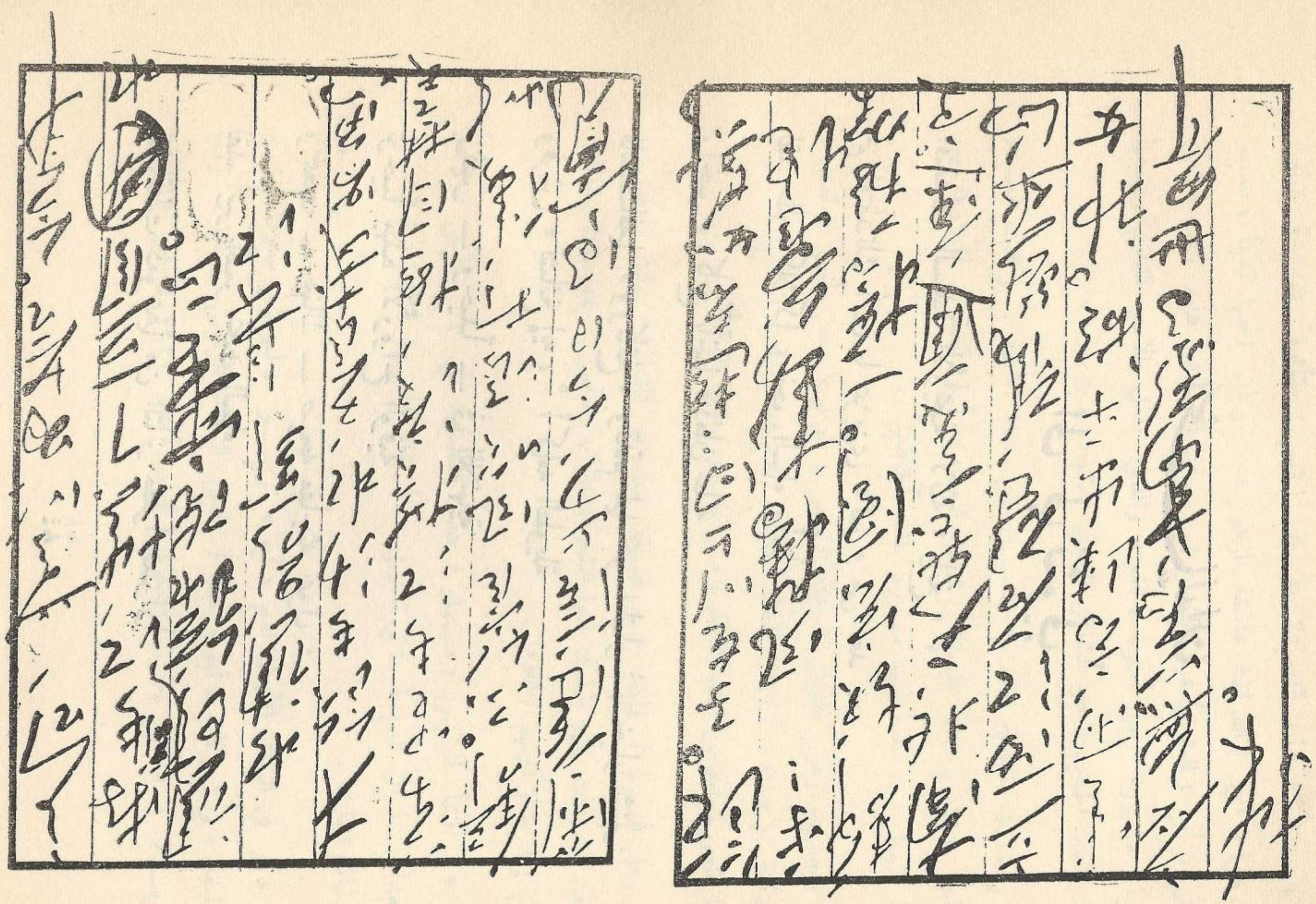
وقف الربُّ على شاطىء النهر وقال:

كل شيءٍ؛ يمرُّ سائراً كهذا الماء

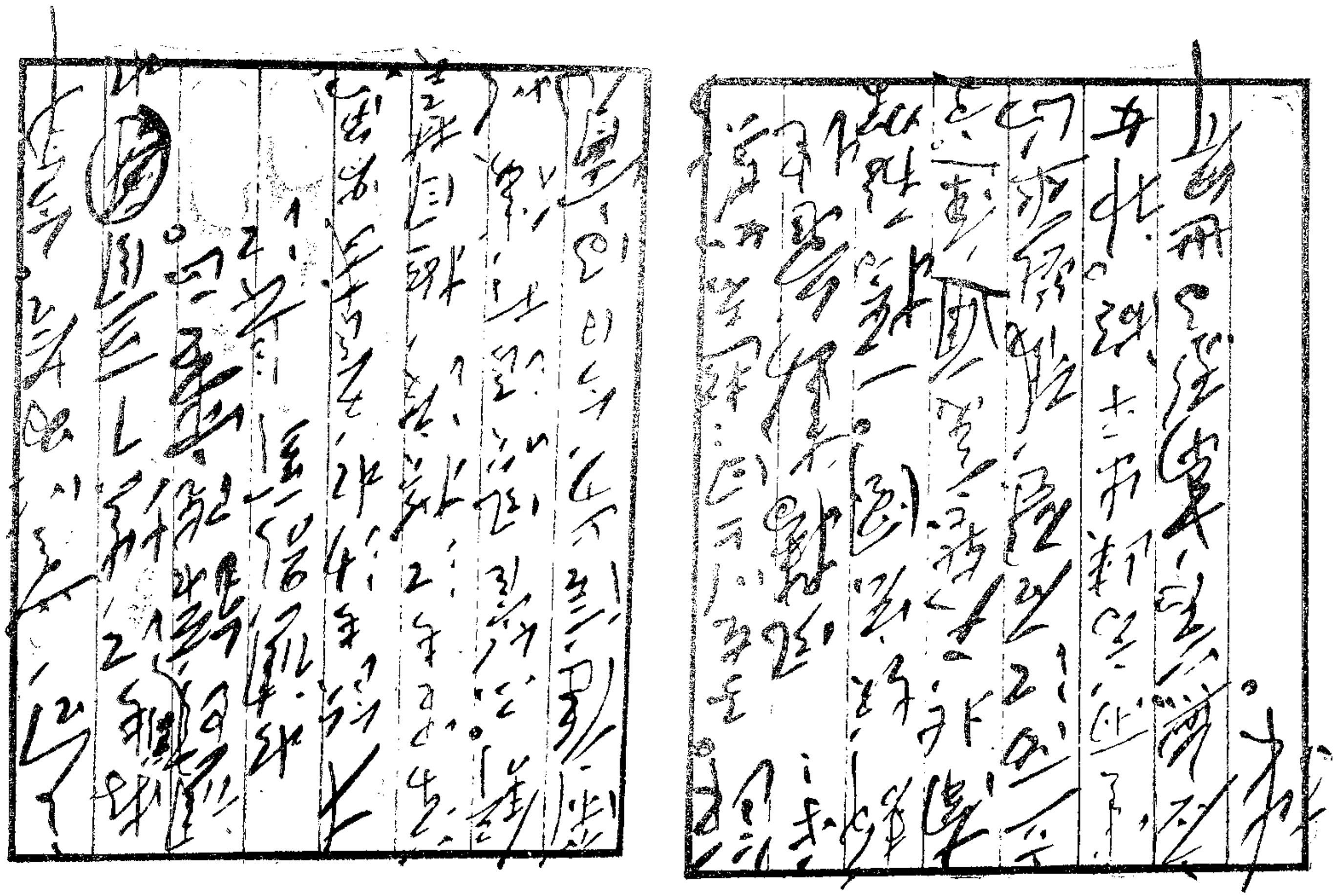
متدفقاً لا يتوقف ليلاً ولا نهاراً

وقد عقدت النيّات على عزماتٍ كبرى ...
لم يكن التواصل قبلها ممكناً[59]، بين الشمال والجنوب، لولا الجسر[60]
الذي مهّد شقّ المسيل. ليصبح سبيلاً مسلوكاً. وكان ممتنعاً على المرور.
وأنشئت الجدر الصخرية[61]، على مجرى ووشان
لنحتبس الغيوم والأمطار[62] في حلقومه
وترامى من خلف نفنفه؛ بحيرةٌ فسيحةٌ جمّاعة ...
لو كانت إلهة الجبل ما زالت في الوجود؛
لدهشت استغراباً، ورأَت أَنّ عالماً جديداً عجيباً قد خلق.

58- جبلا الافعى والسلحفاة؛ يرتكز الجسر العظيم على عضديها فيتواصلان به.
59- شقّ المسيل الممتنع على المرور؛ هو نهر "يانغ تسي" وقد أطلق هذا اللقب على نهر "يانغ تسي" "كونغ فان" من الاسر الشمالية والجنوبية (420 – 589 م).
60- افتتح الجسر رسمياً على نهر يانغ تسي في 15 تشرين الاول 1957.
61- الجدران الصخرية: هي السدود العظمى التي أقيمت في القسم الغربي من "يانغ تسي".
62- يرمز باحتباس الامطار في حلقوم الجبل؛ الى حصرها عند أعالي النهر ومنابعه، حيث ينهد جبلا "وو شان" في ولاية "ووشان" من مقاطعة "ستشوان". ويتجرجر نهر "يانغ تسي" في بعض حلاقيمه المشهورة.
وقد أطلق على احدى ذرى هذا الجبل الأشمّ اسم "ساعد الآلهة" في أغنية مشهورة لِ "سونغ يو" (290 – 222 ق. م) ما زالت محفوظة في نخب الأطاريف المتدارسة. خلاصتها: "أنّ احدى الآهات هتفت للملك "سيانغ"، ملك "تشو"، في منامه قائلةً: انها حين تخرج من مكمنها؛ فستضحي في الصباح، سحابةً. وفي المساءِ، مطراً".



السباحة : بخط الرئيس « ماو تسي تونغ » نفسه



السباحة : بخط الرئيس « ماو تسي تونغ » نفسه

الخالدان[63]

الى لي تشو يي[64]

63- نظمت هذه القصيدة على بحر (تسي) متأثرةً بقصيدة "تييه ليان هوا" أي (الفراشة عاشقة الزهور). وكان اسمها قديماً "تسياو تا تشي" أي (العقعق فوق الغصن). وقد اقتبست هذه التسمية هذه التسمية من أغنيةٍ مشهورة زمن أسرة "تانغ" والذي بدّل الاسم القديم ومنحها هذا الاسم الجديد؛ هو الشاعر الغنائي المشهور "ين سو".

وقصيدة الخالدين هذه؛ تتحدّث عن حياة الآلهة. وكانت قصيدة الشاعر "تشو يوان" المسماة (السفر البعيد) أولى القصائد المعروفة من هذا النمط. وصف فيها سروره بلقاء الخالدين ...

وبعد زمنٍ طويل؛ جاء الشاعر "كو بو" زمن أسرة "تسين" الشرقية (317 – 420) فقصَّدَ قصائد تحدّث بها عن الخالدين، شرح فيها شعوره الخاص بهذه الفكرة، واستوحى منها كثيراً.

وعلى العموم؛ فإن جميع قصائد الشعراء المتعلّقة بهذا الموضوع؛ تصف المسرّات التي شارك فيها الشعراءُ هؤلاء الخالدين. يقصدون بذلك: أنهم إنما يشاركونهم الخلود.

64- أنشأ الرئيس "ماو" هذه القصيدة في 11 مايس 1957 وأهداها الى السيدة "لي تشو يي" أستاذة المدرسة الثانوية رقم 10 في "تشانغ تشا".

ذكر في البيت الاوّل اسم "ليو" وهو "ليو تشي سيون" زوج الرفيقة "لي" وكان "ليو" هذا؛ رفيق السلاح للرئيس "ماو" زمناً طويلاً، التحق بالحزب الشيوعي الصيني عام 1923 وشغل وظائف رئيسية متعدّدة، منها: عضوية الحكومة في منطقة "هونان" وأمانة السرّ العامّة للاتحاد الفلاحي فيها كذلك. وشارك مشاركةً فعّالة في ثورة "نا تشانغ" عام 1927، وقتل في أيلول سنة 1933 بمعركة "هونغ هو" في "هو بي" وأما السيدة الاريحية "يانغ"؛ فهي الرفيقة "يانغ كي هوي" المقتولة عام 1930 قتلها قائدٌ من الخصوم اسمه "هو كيين" على أثر انسحاب الجيش الاحمر من "تشانغ تشا". وكانت صديقةً حميمةً للسيدة "لي تشو يي". وكان الرئيس "ماو" قد كتب اليها في احدى رسائله يقول: أبعث اليكِ بقصيدة الخالدين، نظمتها على بحر (تسي) لاتحدّث فيها عن سياحةٍ تخيّلية في السماء. فلا تبالي بالفرق القائم بين مختلف القصائد التي على هذا النمط، أو تحاولي الاهتمام بدراستها دراسةً خاصةً؛ فإنّ لها مثيلاً لدى الاقدمين، كالقصائد التي تتغنّى "بالليلة السابعة لدى القمر السابع" أو التي تتحدث بحديث نجمتي الراعي والحائك ... .

[وهاتان النجمتان اللتان أشار اليهما الرئيس "ماو" (الراعي والحائك) هما (سهيل وكيوان) لدى العرب]. والقصيدة تصف حياة الخالدين وصفاً موضوعياً لا مشاركة للشاعر فيه، مثلها مثل قصيدة "تسياو كياو سيان" ومعناها (جسر العقاعق) للشاعر "تسين كوان" (1049 – 1100 ق. م) التي يقول فيها:

انسربت النجوم من بين السحب الهفّافة الرقيقة

المنسوجة نسجاً مشعثاً لا نظام فيه

وهي تحمل آلامها لتجتاز نهر المجرّة سرّاً ←

افتقدتُ السيدةَ الأريحية الأبيّة "يانغ"،
ثم افتقدكَ أنتَ يا عزيزي "ليو" من بعد.
لقد طار كلاكما؛ نحو السماء رأساً
وأخبر ووكانغ[65] بأنهما قادمان عليه
فاستضافهما "ووكانغ" وقدّم لهما خمر الخيار[66]، خيار شمبر
وفرش "تشانغ إِيه،[67] أكمامه الطويلة

→ **واجتمعت على النسيم المذهّب وندى اليشب**
وكانت سعادتها بهذا اللقاء
تفوق أي سعادةٍ دنيويةٍ معروفة

* * * *

الحب الناعم؛ كان يهدهدها ويعابثها، كالموج الخفيف
وكان الحلم قصيراً جدّاً، وتلاشت السعادة
وفهق الف تأسّفٍ فوق جسر العقاعق
جسر البين والتفرّق والعودة.
فماذا علينا اذا لم نلتق ليل نهار
ما دام حبّك باقياً ابداً؟!

تحدثت هذه القصيدة عن النجمتين "سهيل وكيوان"، وهما لا يجتمعان الّا في الليلة السابعة لدى القمر السابع. وقد اجتازتا نهر المجرّة السماوي على جسر العقاعق، ووقفتا فوقه تناجيان وتتشاكيان لواعج الحب وحرقه الهوى وآلام الفراق. وما هي الّا ليلة وانقضت، افترق بعدها الحبيبان وعاد كلّ منهما الى مكانه على شاطىء النهر.

65- أشار الشاعر الى "وو كانغ" قاصداً به الاسطورة التالية:

"ارتكب "وو كانغ" بعض الاخطاء وهو يحاول تعلّم فن الخلود مع الآلهة بأن هيّجت عليه أغصان شجرة الخيار، (خيار شنبر)، وكان ارتفاعها مقدار خمس مئة سقف. وعليه أن يصعد الى قمتها حيث الخلود. فأخذ يهوي بفأسه على الفروع ليقطّعها، لكنه ما يكاد يرفع فأسه عن الغصن المقطوع ليهوي به على سواه؛ حتى يعود الاوّل فينبت في الحال غصناً شديداً!! هكذا حكم عليه بخلودٍ، ولكنه خلودٌ يقطّع فيه الاغصان تقطيعاً الى الأبد.

66- خمرة الخيار (خيار شنبر) هي شراب الخالدين. ذكرها "تساو تشي" زمن (الممالك الثلاث) في احدى قصائده عن الخالدين فقال:

كأس اليشب؛ مفعم بخمر خيار شنبر
وربّ النهر؛ يقدم السمك الالهي

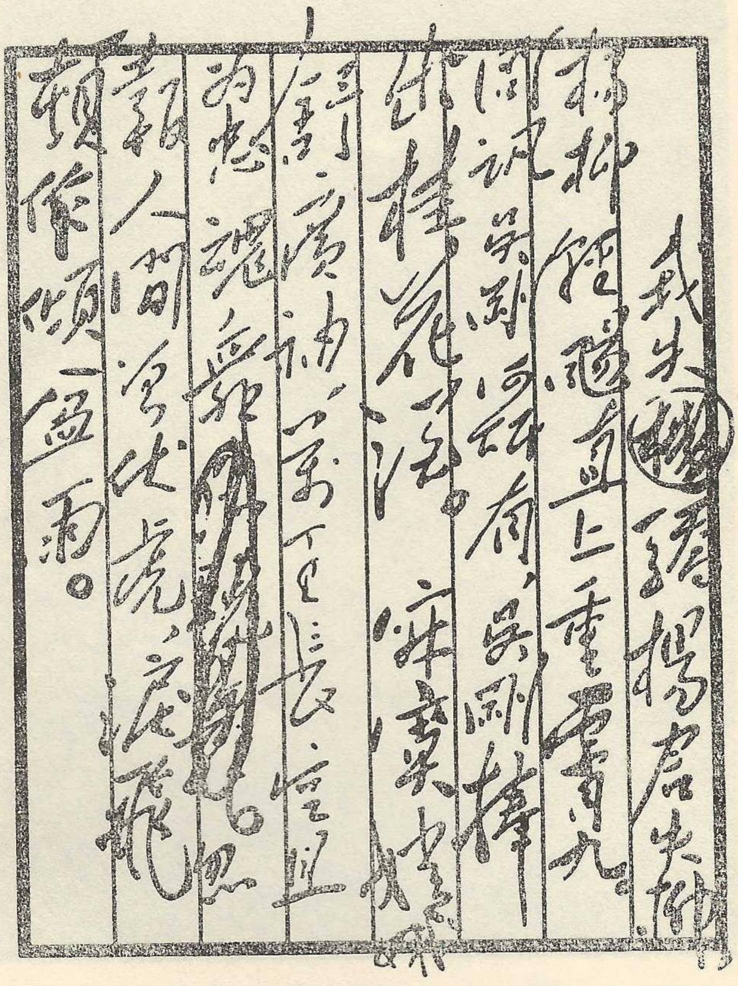
67- "تشانغ ايه"؛ ذكره "لي تشانغ ين" (813 – 858) في احدى قصائده، وعنوانها "تشانغ ايه" فقال: ←

يرقص – وحيداً – في اللانهاية
ترحيباً بهذه الأرواح الوفيّة
وسُمعتْ – هناك – صيحة مفاجئة تقول:
لقد أُسِرَ النمر تحت السماء[68]
فتساقطت دموعهما من التأثّر مطراً مدراراً

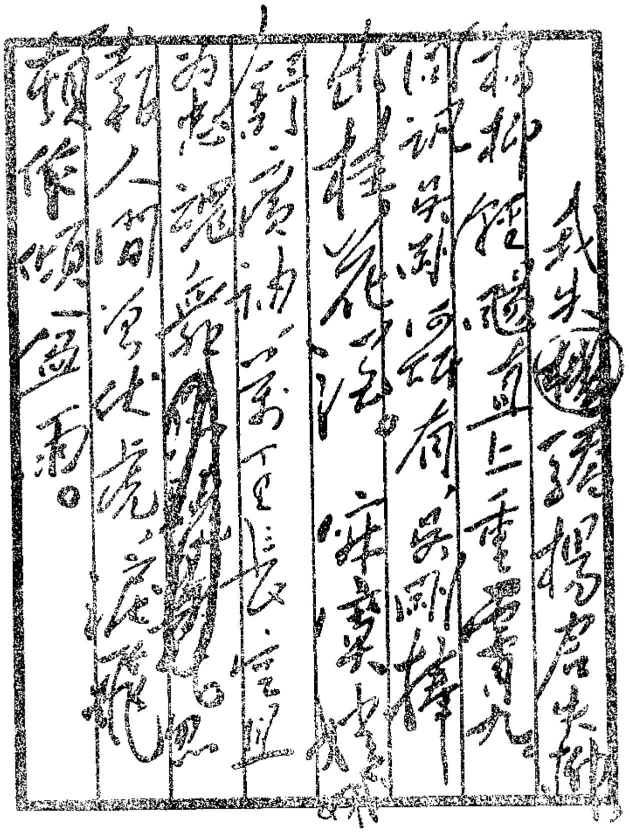
→ **ايهٍ يا "تشانغ ايه"، اتأسفُ على تطاير الاكسير؟!**
ان في المحيطات اللازوردية
لقلباً خافقاً طوال الليالي

وتقول الاسطورة: انه بعد أن احتسى "تشانغ ايه" شراب الخالدين وامتطى القمر، ليهرب على صهوته؛ تبدَّت له السماء بحراً لازوردياً يحيط به من كل جانب. فأخذ يشعر بالانعزال والوحدة والفراغ.

68- رمز بالنمر المأسور تحت السماء: الى اخفاق الخصوم "الكومينتانغ" وهو تعبير صيني معروف، يستخدم في هذه الظروف.


我失驕楊君失柳，楊柳輕颺直上重霄九。問訊吳剛何所有，吳剛捧出桂花酒。寂寞嫦娥舒廣袖，萬里長空且為忠魂舞。忽報人間曾伏虎，淚飛頓作傾盆雨。

قصيدة « الخالدان » بخط الرئيس « ماو » نفسه


我失驕楊君失柳，楊柳輕颺直上重霄九。問訊吳剛何所有，吳剛捧出桂花酒。寂寞嫦娥舒廣袖，萬里長空且為忠魂舞。忽報人間曾伏虎，淚飛頓作傾盆雨。

قصيدة « الخالدان » بخط الرئيس « ماو » نفسه

طرد إله الطاعون[69]

قرأت في صحيفة (رين مين ريباو) العدد الصادر في 30 حزيران 1958، بأن مقاطعة يوكيانغ[70] قد تخلّصت – نهائياً – من مرض البلهارسيا. فأزاحت في نفسي أفكارٌ كثيرة، واعتركت في قلبي اعتراكاً حرمني النوم.
وفي نسيم الصباح النديّ، اذ كانت الشمس تهمُّ بالنهوض، فتزهر بأشعّتها نافذتي، أطلقت عينيّ نحو السماء، سماء الجنوب البعيدة[71]، وأنشأت – في فرحتي – هذه الأبيات:

"ماو"

ماذا استطاعت، كلّ هذه السماوات، أن تصنع؟!

وأن تفعل كلّ هذه الأمواج، وكل تلك الجبال؟!

ما دام "هوا توه[72]" قد عجز عن فعل أيّ شيء يكبح به جماح الوحش؟!

في آلاف الدساكر والقرى، كان كلّ امرىءٍ يترامى سطيحاً.

وتحت عشرات الألوف من السقوف المفرغة

69- وزنت هاتان القصيدتان على بحر (تشي) ويسمى "تسي ليو".

70- كان مرض البلهارسيا – قبل التحرير – منتشراً انتشاراً مخيفاً في المقاطعات الواقعة الى الجنوب من نهر "يانغ تسي"، كوباء منتشر يصيب السكان بوافدٍ مستمرٍّ أليم. فألّفت لجنة الحزب المركزية لجاناً خاصة لاتخاذ تدابير فعّالة ضدّ هذا الوباء. وقد فعلت المعجزات حتى نجحت، فأعلنت مقاطعة "يو كيانغ" في حزيران 1958 خلوّها منه خلوّا تاماً.

71- يشير بقوله (سماء الجنوب البعيدة) الى المقاطعات الجنوبية وكان الوباء منتشراً فيها أيّما انتشار.

72- "هوا توه": من أشهر الاطباء على عهد الممالك الثلاث (220 – 280 م).

كانت الشياطين؛ تتراقص مرحةً[73]

*

* *

تقطع الأرضُ في اليوم؛ ثمانين ألف "ليّ"

وتتلفّت السماء، نحو بقيّةٍ من ألف نهرٍ[74]

73- نشرت صحيفة (رين مين ريباو) في عددها الصادر 30 حزيران 1958 مقالاً عنوانه "أول علم أحمر" قالت فيه:

في محيط قطره خمسون لياً (نحو 25 ميل) حول "لان تيان بان" من مقاطعة "يو كيانغ" مات ثلاثة آلاف انسان بموجة البلهارسيا وحدها خلال خمسة الاعوام الاخيرة. وأُهملت نحو عشرين قرية هجرها سكانها فأصبحت خراباً يباباً. وأكثر من أربعة عشر الف كوخ هجرها ساكنوها بسبب ذلك.

74- يشهد هذان البيتان على صدق ما قاله الشاعر في تقديم قصيدته، من أنّ كثيراً من الافكار قد تهافتت عليه وهو ينظمها. ففي قوله: "ثمانون ألف لي" يرمز الى محيط الكرة الارضية الذي يبلغ عند خط الاستواء 40 ألف كيلومتر (وكل كيلومتر يعادل ليّين تقريباً).

وتقول صحيفة "رين مين ريباو" في المقال المنشور بعدد 30 حزيران 1958 ما يلي:

"قالت بعض الاوساط العلمية والتكنيكيّة: قد دام حكم "الكومينتانغ" عشرين سنة ولم يخرج في حربه ضدّ البلهارسيا بطائل. وكذلك أخفق اليابانيون في ردّه، وقد دام حكمهم نحو عشر سنوات، صرفوها بالبحث والتحرّي العلمي، فكيف يستطيع الحزب الشيوعي أن ينجح في حلّ هذه المشكلة وهو خاوي الوفاض؟!" فرفض شعبنا هذه الافكار التشاؤمية بكلّ شدّة...

وادعى سواهم: أن القضاء على القوقعة المقرنة التي تحمل البلهارسيا يقتضينا جهاد عشرات السنين، وقد يجلّل رؤسنا المشيب قبل أن نتمّ ردم الحفر التي تعشش فيها.

لكن كل هذه الافكار التشاؤمية قد تلاشت أمام همّة الفلاحين قطّان هذه القرى، الذين عرفوا قيمة العمل الألبي؛ فتعاونوا على ردم جميع الحفر في مدى بضعة شهور وأنشأوا لماءِ الريّ نكانها؛ مسارب جديدة تجري بانتظام.

وقد ابتكرت على الصعيد الطبي طرق جديدة حازمة، حطّمت الروتين القائم تحطيماً ثورياً، فالمعالجة التي كان لا بدّ أن تستمرّ ثلاثة أشهر أنقصت – مبدئياً – الى شهرين، ثم اختصرت الى عشرين يوماً، وأخيراً استوجزت بثلاثة أيام وبيومين أحياناً.

يعتقد الشاعر، أن هذه السرعة الهائلة في العمل؛ لا تعادلها الّا سرعة الأرض التي تقطع في اليوم ثمانين ألف "لي" أو ما يعادل 40 ألف كيلومتر.

وفي قصيدة "يي كنغ" فقرةٌ، يحسن أن نتوقّف عندها قليلاً حين يقول:

عندما يلاحظ الحكيم سرعة العالم الهائلة

فما عليه الّا ان يحاول التغلّب عليها، بقدرة اكبر منها. ←

ويقف النجم "سهيل"[75] يتساءل عمّا فعل إِله الطاعون؟!

ألا!! إن فرحة إِله الطاعون بآلام الشعب؛

قد جرفتها الأمواه، فطاحت الى غير رجعة[76]

*

* *

وفي نسيمات الربيع النديّة؛ يورق الصفصاف آلافاً آلافاً.

ويصبح معه ستّ مئة مليون إنسان؛ حكماءَ مثل "ياو"، و "تشوين"[77]

وينقطع المطر الأحمر[78]، وتتحوّل – في عزلته – الى شفارٍ حادّة

تنحني بها الجبال المخضوضرة، أمام الجسور والدعامات.

وتسّاقط المعاول الفضيّة من السماء، على رؤس القمم

وتتهاوى الأنهارُ مرتجفةً متخاذلةً بين أذرعه الحديد[79] ...

→ وكان حكماء الزمن الماضي، يستوحون حركات الطبيعة ويتخذونها قدوةً ليصبحوا أكثر قوةً وقدرة.

75- يطير الشاعر في أجواز السماء فيقابل النجم سهيلاً. وسهيل يعيش على شاطيء النهر السماوي (نهر المجرّة). ولما كان هذا النجم كثير الاهتمام بحياة الشعب على الارض، فإنه يتقمّص صورةً يتقرّب بها من الشاعر مسائلا عمّا فعل اله الطاعون من مساوىء.

76- آلام الشعب هنا، متأتية من مرض البلهارسيا. وأما الفرحة فهي سرور اله الطاعون حينما يسيطر. وقد جرف كلّ ذلك مع تيّار الماء المتدفّق، ولن يعود أدراجه أبداً.

77- "ياو"، و "شوين"؛ اسمان لحكيمين مشهورين من أباطرة الصين القديمة. ويرمز الشاعر باسميهما الى أن ست مئة مليون صيني سيصبحون في مستوى هذين الحكيمين بالتعلّم والثقافة.

78- يقصد بالمطر الاحمر هنا: أزهار الشرّ. وهي صورة مقتبسة من قصيدة للشاعر "لي هو" (790 – 816) قال في أحد أبياتها:

"تسّاقط ازهار الشرّ مطراً احمر"

ويرمز به الى المدّ الفسيح المتقدّم.

79- يشير بأذرعه الحديد؛ الى مشروعات الريّ الجديدة، والمدّ الثوري المتقدّم، وإبادة البلهارسيا بهذه الحماسة. ←

فإلى أين المفرّ، يا إِله الطاعون[80]؟!
لقد أوقدت الشموع، والتهب المركب الورقيّ
وتعالى اللهيب نزّاعاً نحو السماء.
فإلى أين المفرُّ؟!

→ تذكر صحيفة "رين مين ريباو" (عدد 30 حزيران) أن سكان مقاطعة "كوتشينغ" (هو بي) عزموا على تفتيت الجبل لردم مجاري الماء، ونقل الصخور الضخمة لتقوية شطئان البحيرات، كل ذلك من أجل ابادة القوقعة المقرنة حاملة البلهارسيا.

80- بعد تصفية أمر القواقع: في جميع البلاد، لم يبق لإله الطاعون مكان على وجه الأرض يسيطر فيه أو يعيش. ولهذا أحرق مركب من ورق وأوقدت الشموع لطرد إِله الآلام والاحزان. يؤكد ذلك عنوان احدى القصيدتين (احراق السماء) وهو يعني بذلك: اضاءة السماء بنار المركب المحترق وبشموعه. وهو تعبير صيني معروف، ورمز لطيف مستحسن.